منظومة المصطلح العلمى العربى

د/ محمد يونس عبد السميع الحملاوى
أستاذ هندسة الحاسبات – كلية الهندسة
جامعة الأزهر

نبذة :

لمنظومة المصطلح العلمى العربى عدة جوانب : أولها توليد المصطلح ، وثانيها توحيده، وثالثها استخدامه ، ورابعها نشره وتوظيفه فى بنية الثقافة والعلم ، وخامسها ربط المصطلح بمنظومة التنمية . لقد أتاحت لنا التقنيات الحديثة آليات عديدة للمساعدة فى هذا السبيل تراوحت بين تيسير توليد المصطلح ، وبين نشر المصطلح إلكترونيا ، وبين سهولة تجميع مختلف المصطلحات المترادفة ، وبين التحقق من انسجام المصطلح مع مواصفات بنية الكلمة العربية الفصيحة وغيرها من الأعمال.

ونتيجة غياب منظومة شاملة للتنمية تضع قضية التعريب فى مكانها الصحيح من منظومة المجتمع ، فقد غابت جزئيات قضية المصطلح . وكان نتيجة ذلك تعدد المصطلحات للمفهوم العلمى الواحد من قطر إلى قطر . بل وداخل القطر الواحد ، رغم ما يتيحه توظيف تقنيات الحاسبات من نشر وتبادل المصطلح بسهولة . إن غياب شفافية منظومة توليد المصطلح وتوظيفه فى بنية الثقافة العربية لعامل هدم لتلك الثقافة خاصة فى وجود تقنيات الاتصال الحالية. كما أن غياب هدف توحيد المصطلح العلمى العربى لمعول هدم لمختلف جهود توليد المصطلح الحالية مع تعددها. لقد بات من

المهم نشر هدف وضع المصطلح العلمى العربى بجانب آليات توليد المصطلح، ووضع ذلك فى إطار علمى معلن يتضمن رفع مستوى استخدام العربية السليمة فى تعاملاتنا وفى تعليمنا وفى إنتاجنا . إن ذلك لكفيل بوضع الأمور فى نصابها كى تصبح منظومة المصطلح العلمى العربى منظومة إيجابية ، تختلف عن منظومات الترف العلمى الذى درج العرب على ممارسته عقودًا .

لقد بات علينا أن نروج للهدف ثم للمنهج قبل أن نشرع فى الانتاج الذى باشرناه بحسن نية – على أحسن الفروض – قبل أن نعبِّد له طريق الإنتاج والتوزيع فتكدس إنتاجنا وتعدد وبتنا نبحث عن آليات تصريفه . إن وضوح أطراف منظومة المصطلح العلمى العربى يتيح لنا المساهمة فى حل تلك القضايا ، إن نحن أحسنا توظيفها بناء على منهج واضح معلن يتلافى سلبيات الماضى ويستشرف عملا عربيا موجبا .

١ – مقدمة :

رغم الجهود العديدة التى قامت بها الكثير من الهيئات فى مجال صياغة المصطلح العلمى العربى، إلا أن تلك الجهود ما زالت مبعثرة غير متكاملة وتحتاج لتنسيق دائم . لقد عانى موضوع المصطلح العلمى العربى مما عانت منه الثقافة العربية ذاتها من محاولات هدم من داخل أبنائها حين تناسوا الربط بين اللغة والهوية . ولم يتبق من الجهود الموجبة إلا القليل الذى يرتبط بمفاهيم غريبة عن بنية اللغة العربية التى ضربت جذورها فى التاريخ ، واستوعبت أطول حضارة علمية مشرقة . لقد تقاعس البعض عن تعلم العربية نحوًا وصرفًا فاستصعبوا صوغ المصطلح والتعامل معه ؛ خاصة تلك المصطلحات التى تتفق مع بنية اللغة ؛ وانتهى بهم الحال إلى أن فضلوا تعريب المصطلح الأجنبى بمعناه الاصطلاحى لا ترجمته [١-٢] .

تجيز بعض الدراسات والقرارات اللغوية -خاصة التى صدرت عن بعض مجامع اللغة العربية- تعريب المصطلح العلمى ، بمعنى نقل الكلمة الأعجمية إلى

العربية على طريقة نطق العرب. ورغم أن هذا المدخل قد وُضِعَ كي يستعمل بعد استنفاد كافة السبل الأخرى لنقل مدلول المصطلح إلى العربية ، وهى الاشتقاق والمجاز والنحت ، إلا أن الممارسة العملية لم تأخذ بهذا النهج ، وتوسعت فى تعريب المصطلح. وتتعدد أسباب هذا الموقف من بطء فى توليد المصطلح ومن رغبة فى التغريب ومن عدم إلمام بأسس توليد المصطلح عند العلميين ورجال الإعلام . لقد بات هذا السلوك يشكل ظاهرة يلزم التعامل معها ، حتى لا يضيع الهدف من نقل العلم إلى العربية إضافة إلى ما يؤدى إليه هذا السلوك من تعجيم للغة العربية ذاتها .

٢- توليد المصطلح :

إن غياب شفافية منظومة توليد المصطلح وتوظيفه فى بنية الثقافة العربية ، لعامل هدم لتلك الثقافة خاصة مع وجود تقنيات الاتصال والحوسبة الحالية . ومن المفيد أن نشير إلى ما يشوب بعض الممارسات من قصور يهدم الهدف من وضع المصطلح حينما نعرب بعض المفاهيم العلمية، وننسى أن هدف التعريب هو تقريب المفاهيم للمتلقى العربى . وينطبق هذا بكثرة على أسماء بعض القوانين والمفاهيم العلمية ، مثل: قانون أوم ، الذى لا يؤدى إلى أى تقريب فى ذهن المتلقى للموضوع الذى نتحدث عنه . أما كان من الأجدر تسمية قانون أوم بقانون الإعاقة الكهربية ، أو بقانون الإعاقة لأوم ؟

لقد بذلت بعض الجهود للتعريف بأهمية استخدام المصطلح العلمى العربى ، وبأسس توليده إلا أنها قليلة وغير كافية [٣]. وتقف مجامع اللغة العربية فى صدارة قضية توليد المصطلح، كما أن للصحافة والإعلام دورًا فى توليد بعض المصطلحات ونشرها ، إلا أن افتقاد العاملين فى مجال الصحافة والإعلام لمعرفة آلية توليد المصطلح ، وأماكن الحصول عليه ، ولأسس علم الصرف، يقف حجر عثرة فى إشاعة الجديد من المصطلحات . ولا يقتصر الأمر على رجال الصحافة والإعلام حيث

نجد أن جمهور الكُتَّاب، والعلماء المتخصصين نادرًا ما يصل إليهم المصطلح العربى فى الوقت المناسب كي يمكنهم استعماله ، ولهذا يجتهد البعض فى ترجمة المصطلح، ويكتفى البعض بتعريب المصطلح ، بينما تكتفى البقية الباقية بالحفاظ على اللفظ الأجنبى للمصطلح . ولن نجادل كثيرا فى أن نشر ما أنتجته مجامع اللغة العربية من معاجم سيسد ثغرة فى بنيان الثقافة العربية . ولكن لا يجب أن يقتصر الأمر على هذا ؛ بل يلزم مع نشر المعاجم المعتمدة للمصطلحات العربية ، نشر قواعد توليد المصطلح العلمى لمواجهة أى قصور محتمل فى التطبيق .

لقد تناولت العديد من الدراسات منهجية وضع المصطلح . وتكاد تجمع تلك المنهجيات على استقراء التراث العربى أولا ، واستخدام اللفظ العربى بدءًا من الاشتقاق ، ومرورا بالمجاز والنحت قبل أن نلجأ إلى التعريب [٤] . لقد أفرز لنا الاشتقاق كلمات عربية لكون الاشتقاق أقرب لبنية لغتنا الاشتقاقية عكس اللغات الإلصاقية الأخرى ، ومنها الإنجليزية والفرنسية . كما أفرز لنا المجاز مصطلحات عديدة مثل اسم علم الجبر ذاته ، والسيارة التى نستعملها دوما ولا نفكر فى طريقة صناعتها ، أو حتى طريقة صناعة اسمها ! ولقد أفرز لنا النحت العديد من المصطلحات الحديثة مثل : برمائى, والمولَّدة : كبرى ومائى .

ولقد قامت بعض الجهات بتطبيق منهجياتها بأسلوبها الخاص ، مثل : "المعجم الطبى الموحد" الذى أصدره المكتب الإقليمى لشرق المتوسط بمنظمة الصحة العالمية[٥]. وركزت مختلف الدراسات على أهمية الاشتقاق كأسلوب لحل مسألة ترجمة المصطلح [٦] . وللأسف فلقد توسع البعض فى توليد المصطلح بأساليب لا تمت إلى المنهجية الصحيحة بصلة ، فوجدنا أسماء بعض الهيئات القومية تنحت اسمها من الحروف الأولى للترجمة الإنجليزية لا اسمها العربى (مع ملاحظة أن ترجمة الاسم إلى الإنجليزية غير دقيقة فى ذات الوقت) مثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

(الأليكسو) والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) ، وأظنها بسبب التشبه باسم منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) !

٣ – توحيد المصطلح :

نتج عن غياب منظومة تنمية شاملة تضع التعريب فى مكانه الصحيح من منظومة المجتمع، أن تعدد المصطلح للمفهوم العلمى الواحد داخل القطر الواحد ، ناهيك عن تعدده بين الأقطار العربية المختلفة . وكان الأمر نتيجة طبيعية لعدم الاستناد إلى أسس موحدة لتوليد المصطلح بين المشتغلين بالعلوم ، إضافة إلى رجال الإعلام الذين يواجهون أحيانا فيضا من المصطلحات غير المألوفة [٧-٨-٩] ولقد ساعد استغراب الجرس الصحيح للمصطلح – نتيجة فساد الحس اللغوى –على النفور– من بعض المصطلحات الصحيحة لغويا رغم الدراية بها ، وكمثال على هذا نجد مصطلح الحاسوب والذى هو اشتقاق سليم من الفعل الدال على عمل تلك الآلة . هذا المصطلح لم يجد قبولا واسعا بين المشتغلين فى مجال الثقافة العامة نتيجة غرابة جرسه فى بعض الآذان ، الأمر الذى يدفعنا دفعا إلى البحث عن مسببات ذلك . ولا يفضى الأمر إلى كثير عناء حيث نلاحظ أن منهج الصرف العربى فى مدارس البلدان التى لم تستغرب ذلك المصطلح أشمل وأعم مما يدرس فى مدارس البلدان الأخرى التى تقاوم ذلك المصطلح . وإضافة إلى ذلك ، فإن القضية فى جزء منها تتعلق بتردد استخدام المصطلح ، ولهذا كان للإعلام دور فى هذا المجال ، وكان للحواسيب دور مطلوب فى نفس الوقت .

لقد بذلت مجامع اللغة جهدا لا يمكن التقليل من قيمته فى توليد العديد من المصطلحات ، إلا أن تلك المصطلحات باتت حبيسة الخاصة ، وتستخدم فى أضيق الحدود ، ولهذا لم يكتب لها الانتشار ومن ثمَّ النجاح . وسواء أقاومنا المصطلح لغرابة جرسه أم قاومناه لعدم معرفتنا لمدلوله تبقى قضية نشر المصطلح وتداوله على أوسع نطاق هى المرحلة التى لابد من اجتيازها لحل تلك المعضلة . ورغم تعدد المصطلحات ، فإن النشر الرصين لمختلف مترادفاتها سوف يدفع العديد من ذوى الاختصاص إلى

النظر فى تلك المترادفات وتغليب إحداها على البقية . وكمثال لتلك الآلية نجد أن المعجم الطبى الموحد قد جمع مختلف المصطلحات للمدلول الواحد على أمل التعريف بها وتنقيتها لاحقا(١٠).

إن إتاحة المصطلح مجانا وترويجه بطرق متعددة على شبكة المعلومات العالمية ، ووضعه آليا، يتطلب غربلة النصوص قبل نشرها ، باقتراح بدائل صحيحة للكلمات التى اجتهد المترجم فى وضع مصطلح لها ، لكفيل بإصلاح متزايد لمنظومة المصطلح . ويأتى للحواسيب دور فى هذا المجال شريطة أن توجد قبل ذلك آلية فعالة لتحقيق هذا الهدف، لأن الميكنة لن تؤدى إلى أى خطوة موجبة إذا خلت من منظومة تعمل فى إطارها .

ومن المفيد أن نشير إلى أنه كثيرا ما تكون قضية توحيد المصطلح حجر عثرة فى طريق التعريب بدواع شخصية غائبة ، وقطرية أحيانا ، وهو ما يعكس حالة التشرذم التى نحياها فكريا فى مختلف ربوع أمتنا . وعلى من يتصدر لقضية التعريب ، أن يقبل بالحلول التى وضعتها مجامع اللغة العربية من خلال اتحاد المجامع العربية الذى يشكل الإطار القومى لمجهودات مجمع اللغة العربية ، بالإضافة إلى مكتب تنسيق التعريب ، وجهود الأفراد والهيئات الأخرى التى ساهمت فى توليد المصطلح العلمى فى الفترة الحالية دون تعصب شخصي غير موضوعى . ولنعرف أن المصطلح فى مختلف اللغات وفى مختلف التخصصات ، يأخذ عدة سنوات حتى يستقر ، ومن ثم فإن مطالبة اللغة العربية بأن تتبع مصطلحات مستقرة من البداية يضع علامات وعلامات على الدوافع من وراء هذا التوجه الذى هو فى صميمه كلمة حق يراد بها باطل . والجانب الآخر لهذا التوجه الذى أراه هو المعاونة فى نشر مختلف الجهود التى تمت فى هذا المجال بصورة مجمّعه ، شبيهة بما قام به المكتب الإقليمى لمنظمة الصحة العالمية بشرق المتوسط فى مجال تعريب المصطلحات الطبية (١١) . ولا يعنى هذا العزوف عن المشاركة فى أعمال تلك الهيئات ، بل يعنى فقط عدم اعتبار الأمر حجر عثرة فى طريق التعريب ، فالمصطلحات ماهى إلا جزء من القضية . كما لا يعنى هذا عدم تنسيق الجهود فى هذا

المجال بل العكس هو المقصود ، كى تراجع كل حين " أساسيات توليد المصطلحات التى باتت تستصرخنا كي لا يشدنا المصطلح بعيدا عن العلم الذى نريد أن نفهمه ، وكى لا نتلمس الذرائع لنضع مصطلحات لا تقرّب العلم إلينا . ولا نغالى إن نحن وضعنا قضية المصطلح فى موضعها، فالمصطلحات تمثل حوالى ٣٪ من حجم المادة العلمية فى أغلب العلوم التطبيقية كما أن اللبنة الأولى منها متوفرة على أسوأ الفروض ولا جدال أن بها إنجازًا[١٢]

٤- استخدام المصطلح :

بدون منظومة منتجة تستخدم المصطلح فى مكانه الصحيح في بنية الثقافة والعلم ، يظل المصطلح غريبا عن بنية اللغة ، ومهما بذلنا من جهد ، يبقى المصطلح الصحيح نبتة صالحة لن يكتب لها الحياة إذا لم تستخدم ، فحياة المصطلح فى استخدامه . وهنا تبرز قضية التعريب بمفهومها الواسع من حيث هى تعريب للثقافة والإعلام ولتعريب التعليم (١٣-١٤) فلن يشيع المصطلح العلمى العربى إلا إذا شاع استخدام العربية الصحيحة ، ولن تشيع العربية الصحيحة إلاّ إذا كانت العربية هى لغة الأمة بمختلف فئاتها وبمختلف مناشطها . هذه القضية رغم أهميتها - التى تبدو بعيدة عن سياق قضية المصطلح - غابت عن كثير من الجهود التى تصب فى قضية المصطلح العربي ، سواء أكان علميا أم أدبيا . وكأننا ننتج منتجا جيدا لا غبار عليه ضاربين عرض الحائط بالسوق الذى يمكننا تسويق ذلك المنتج فيه . ومن ثم يمكننا أن نشير إلى أن آليات توليد المصطلح وتوحيده ونشره يجب أن تصب فى منظومة تعريب الأمة . ولن يتأتى تعريب الأمة بدون تعريب التعليم الجامعى والتعليم قبل الجامعى[١٥]. وهذا الشرط الضرورى لا يكفى وحده لأن ترتقى الأمة لمكانها الذى تستحقه ، لأن توجهات الأفراد يمكن أن تكون معول بناء كما يمكن أن تكون معول هدم لأى جماعة ، ولأى مجتمع . وإن كان من المفيد أن نشير إلى أن تفعيل لغة المجتمع ، تدفع العديد من المفكرين والمثقفين إلى اتخاذ موقف من توجهات المجتمع ذاته ، يؤدى إلى استقطاب شريحة كبيرة من أطياف المجتمع فى اتجاه

خصوصية وهوية ذلك المجتمع . ولقد لعب هذا الموقف دورا مؤثرا فى تكوين المجتمع الاسرائيلى على سبيل المثال من خلال التمسك بالعبرية كأداة لصهر مختلف أطياف المجتمع الإسرائيلى [١٦]. ونتيجة غياب منظومة شاملة للتنمية تضع قضية التعريب فى مكانها الصحيح من منظومة المجتمع ، غابت جزئيات قضية المصطلح [١٧] ، وكان نتيجة ذلك تعدد المصطلحات للمفهوم العلمى الواحد من قطر إلى قطر ، بل وداخل القطر الواحد ، رغم ما يتيحه توظيف تقنيات الحواسيب من نشر وتبادل المصطلح بسهولة .

٥- نشر المصطلح :

لقد بات من المهم نشر هدف وضع المصطلح العلمى العربى بجانب آليات توليده ، ووضع ذلك فى إطار علمى معلن يتضمن رفع مستوى استخدام العربية السليمة فى تعاملاتنا ، وفي تعليمنا وفى إنتاجنا . إن ذلك لكفيل بوضع الأمور فى نصابها كى تصبح منظومة المصطلح العلمى العربى منظومة إيجابية تختلف عن منظومات الترف العلمى الذى درج العرب على ممارسته عقودا . لقد تكدست المعاجم العربية كما تكدست الكتب المترجمة للعربية التى كانت من نتائج مشروع ترجمة جيدة فى مصر فى فترة الستينيات من القرن الميلادى المنصرم ، لأنه لم يكن لها وعاء تصب فيه ، فنعت حظها على أرفف المكتبات وفى أتون المخازن ، فليس أفضل من استخدام المصطلح لنشره . ألا نتذكر ما فعله ديجول الرئيس الأسبق لفرنسا الذى كان يطعم خطبه بما اندثر من كلمات فرنسية مهجورة ليبث فيها الروح . كان هذا على الجانب الآخر من المتوسط ونحن نصر على أن الخطأ الشائع أفضل من الصحيح المهجور !

ألا يمكننا أن نضع من شروط تأليف الكتب المدرسية فى مختلف الدول العربية ، الركون إلى المصطلحات الرصينة المعتمدة من مجامع اللغة العربية ؟ ألا يمكننا ان نوظف الجمعيات العلمية العربية بالإضافة إلى شباب العرب الذى يقضى اغلب وقته فى السلبى من الأمور ، فى نشر المصطلح العلمى على شبكة المعلومات العالمية ؟ ألا يمكننا إيجاد آلية لتوظيف تلك الطاقات المهدرة ؟ أيمكن أن يتزاوج العمل الحكومى مع

العمل الأهلى فى منظومة العمل العام ؟ أيمكن أن يستشعر الموظف العام أن وظيفته هى خدمة المواطن وليس العكس ؟ ولهذا فإن التعاضد فى وضع منظومات موجبة لبناء المجتمع أمر مطلوب لكى نحقق فيها العمل كمتطلب أساسى فى أى عمل ، وأين الإعلام عن تلك المنظومة .

إن الاعتماد على تعريب المصطلح يتناسى البعد الثقافة والحضارى خلف ذلك اللفظ الأجنبى إضافة إلى عجمته . وللدلالة على مانذهب إليه ، نشير إلى بعض المفردات التى يدور حولها الخلاف، فالتراث يعتبره الأوربيون على وجه العموم مكونا من عنصرى الثقافة والحضارة معا ، بخلاف الأمريكان الذين لا يملكون حضارة مادية عريقة ، يعرّفون اللفظ الإنجليزى ذاته تراث (heritage) على أنه يتكون فقط من الثقافة (culture) ، ولا يشتمل على الجانب المادى الذى هو الحضارة (civilization) . هذا الاختلاف فى مدلول اللفظ قائم فى ذات اللغة الإنجليزية ، مما يعنى أهمية المكون الثقافى فى اللفظ . فالثقافة الأمريكية غير الأوربية وغير الانجليزية لم تتغاير بدرجة كبيرة نتيجة الامتداد التاريخي للمغامرين الأوربيين الذين نزحوا إلى أمريكا(١٨-١٩)

٦ – المصطلح والتنمية :

إن فهمنا من اللفظ الأجنبى وكيفية تعاملنا معه بصورة تعكس الفهم الصحيح لمدلول اللفظ هو قضية تتعلق بترجمة وتعريب اللفظ الأجنبى ، حتي تستطيع أن ننقل مدلول اللظ بصورة دقيقة حتى يمكننا الاستفادة منه . ومن الأمثلة الشائعة على هذا الاتجاه كلمة "تكنولوجيا" (technology) التى هى علم الصنعة فى الثقافة الأوربية وهو نفس مدلول كلمة تقنية بالعربية على عكس لفظ تكنولوجيا المعرب الذى يعنى عند البعض مدلولا ثقافيا مختلفا يقبل النقل وغيره من التعاملات المادية . فأصبحنا نسمع عن نقل التكنولوجيا ولانسمع عن نقل علم الحساب لاستيعابنا علم الحساب وعدم استيعابنا علم الصنعة . هذا السلوك غير القويم فى تعاملنا مع الوارد وعدم إدخاله فى المحتوى الثقافى العربى ، يخلق لنا مواقف خاسرة عادة . فكم تكلفنا فى عقود

ودراسات نقل التكنولوجيا بدون عائد حقيقي . وفى نظرى أن هذا الخلل مرده عدم استيعاب اللفظ الأجنبى ، واعتبار التكنولوجيا سلعة تباع وتشترى وليست تقنية يتم توطينها ![٢٢]

وأرانى أضع أمام عينى ملحوظة عن تعريب المصطلح ، مؤداها أن التعريب يلزم أن يكون بالمدلول ، فهذا هو ذات هدف التعريب ، ولأن الهدف من التعريب هو أن ينطبع المصطلح فى الذهن مما يساعد على فهم استيعاب المادة العلمية . فالاسم الأجنبى مهما بدا سهلا فهو طلسم لا يثير فى الذهن نفس المفاهيم التى يثيرها فى ذهن من كان ذلك المصطلح بلغته الأم. فأى فائدة ترجى من استبدال لفظ أجنبى بلفظ آخر غير ذى مدلول؟ وهذا ما يتم فى اللغات الأجنبية التى تحافظ على هوية أبنائها ، مثل ترجمة كلمة حاسوب فى الإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها من اللغات . فذلك يكون حسب المحتوى والمضمون . أما استعمال كلمة أجنبية للمصطلح مهما كانت شائعة ؛ فهذا إهدار لإعمال العقل وما كان للكلمة أن تشيع لولا تقاعسنا عن بذل الجهد المطلوب فى الوقت المناسب .

للمصطلح بيئة ترعاه وتسهر على تفعيله وفى غيابها يذبل المصطلح ويتوارى ويموت . هذه البيئة هى تنمية الأمة بكل روافد هذه العملية ، وبكل منتجاتها من كتابات علمية ومن كتب ثقافية ومن آليات إعلام ، ومن إنتاج مهما تعقد ومهما كان بسيطا ، فللمصطلح وللتوصيف القياسى لاستعمال المصطلح دور فى حماية كل من المنتج والمنتج إضافة إلى المستهلك الذى هو هدف التنمية ، ولن يتأتى هذا إلا فى منظومة عربية تضع جزيئات التنمية فى مكانها الصحيح [٢٣-٢٤] . أفلا نحتاج إلى أن نصل إلى كل الجهات التى تشارك أو يمكن أن تشارك فى هذه المنظومة وإلى أن نجد لها دورا يفعّل المنظومة ويدفعها بكفاءة ؟ ولن نغفل بيئة المتعلمين فى التعليم العام التى لا تعرف للمعجم شكلا ، أو مكانا ، فللأسف الشديد لا يوجد فى زمننا الحالى للمعجم مكان فى مكتبة المنزل العربى ؛ هذا إن وجدت تلك المكتبة أساسًا . ويتوارى الخجل

حين نذكر أن أمتنا كانت فى عصور عزتها عالما أو متعلما فى الوقت الذى كانت تئن فيه بعض أديرة أوربا من غياب من يعرف القراءة والكتابة (٢٥) .

تمثل قضية ترجمة وتعريب المصطلح العلمى أحد المسائل التى شغلت بال الكثيرين رغم أنه بوضعها أمام المنطق العلمى يمكننا استنباط بعض المحددات التى تساعد على الوصول إلى إجابة على السؤال الذى دارت فيه قضية المصطلح العلمى العربى لعقود ، ألا وهو : هل الترجمة أفضل أم التعريب ؟ والأمر لا يحتاج إلى كثير عناء ، إذا نحن وضعنا أمامنا الهدف من تعريب العلم ذاته، لأننا فى هذه الحالة سوف نتبين أن الطلاسم التى تحتويها المصطلحات المعرَّبة سوف لا تؤدى إلى تحقيق هدف تعريب العلم ، وهو الهدف الأساسى من صياغة المصطلح عربيا . ولا يعنى هذا إهمال المصطلح الأجنبى ، بل يعنى إدراجه إذا لزم الأمر فى ثبت للمصطلحات ، أو فى متن النص بحروفه الأجنبية . ورغم أن أسس ترجمة وتعريب المصطلحات التى تبنتها بعض الجهات لا تبعد كثيرا عن هذا النهج ؛ إلا أن التطبيق العملى يبعد عنه بدرجات متفاوتة فى مجال العلوم الهندسية . وتأتى قضية توحيد المصطلح كخطوة تالية لتوليد مصطلح صحيح لغويا ، واضح فنيا . ومن الآليات التى يمكن أن نضيفها فى هذا المجال المعاجم الإلكترونية خاصة مع تطور آليات تصحيح النصوص ومعالجتها إلكترونيا .

قضيتنا التى يجب أن ندافع عنها ، وهى خدمة اللغة العربية ، يندرج العديد من جزئياتها تحت قضية تعريب العلوم (٢٦) . فحينما نُفَعِّل اللغة فى حياتنا سوف نوقف مد اللغات الأجنبية الطاغى بدون وعى على لغتنا القومية ، ليس فقط من حيث تقليص دورها لتعود إلى وظيفتها الأساسية من حيث كونها لغة تواصل مع الآخر فقط ، بل أيضا من حيث توهمنا أننا حين نتعلم العلم بلغة أجنبية نكون قد اكتسبنا علما حديثا ولغة أجنبية ، فلا نحن حصلنا علما حديثا أو قديما بالدرجة المقدرة ولا نحن حصلنا لغة أجنبية (٢٧). إنما الأمر كله محض توهم . لقد درجنا على السير فى هذا النهج منذ

أن استعمرتنا الدول الغربية ، وقطّعت أوصال أمتنا العربية إلى إيطالية، وفرنسية ، وإنجليزية ، وتشايعنا جميعا لهذا النهج الذى لا يجد بديلا عن لغة المستعمر كوعاء لثقافته ، رغم الدراسات العديدة التى تثبت تأثير ذلك فى الهوية ، وفى الناتج المجتمعى، ولكن لم نستطع لأنفسنا فكاكا من هذا القيد لدرجة أننا لغويا أطلقنا على المحتل (من الاحتلال) لفظ الاستعمار (من العمار) ، وكأن العمار صفته ! لقد أصابنا الاحتلال فى مقتل حينما أفقدنا الحس اللغوى فى تذوق الأمور ! المهم أننا تشايعنا لهذا الذى وضعه السيدان سايكس وبيكو بالمسطرة والقلم على أوصال أمتنا العربية (وهو أمر يمكننا اكتشافه بسهولة حال تصفحنا لأى أطلس جغرافى يشمل منطقتنا العربية)، وبتنا لا نرى إلا فى الفرنسية لغة المدنية فيمن ارتبط بالاحتلال الفرنسى ، وفى الإنجليزية لغة المدنية فيمن ارتبط بالاحتلال الإنجليزى! لقد درج بعضنا على السير فى طريق يمكن فيه أن يتعالى على أبناء جلدته برطانة تبرأ منها اللغات الأجنبية ، وبتراكيب لا تستقيم مع الحس اللغوى للغة التى يتوهم أنه يجيدها ، وبات التخفى وراء حاجز اللغة أمرا يُفضى على أحسن الفروض إلى الراحة والتقاعس عن بذل جهد حقيقى لتوصيل العلم لطلابه ، ويسير على هذا النهج المصطلح العلمى فهو جزء من قضية التعريب ولكنه ليس كل القضية (٢٨). ويجدر بنا هنا الإشارة إلى أن المصطلح الأجنبى – إضافة إلى ذلك البعد القومى لا ييسر للدارس أو للممارس فهما أعمق كما لا يتيح لمستعمله عمقا فى الفهم , بل العكس هو الصحيح . وعلى سبيل المثال فإن كلمة تليفون لا تعنى للعربى أى مدلول وهى بالنسبة له صوت ويمكن أن نطلقه على أى شيئ . أما نفس الصوت للفرد الإنجليزى تعنى تركيبية لغوية ذات مدلول ، فهى تعنى مفهومين هما : مقطع تلى ، وهو يشير إلى البعد ، ومقطع " فون" وهو يشير إلى الصوت . وبالتالى فإن كلمة تليفون تثير فى ذهن المتلقى الإنجليزى مفهوم الصوت ومفهوم البعد ، ولكنها لا تثير فى ذهن الفرد العربى أى شئ من هذا القبيل . فهل استعمالها فى اللغة العربية يرسخ ويسهل العلم والمفاهيم ؟ وهل من الأفضل أن نستعمل كلمة هاتف التى تعطى مفهوم الصوت ومفهوم البعد فى نفس الوقت ؟ قد لا

تكون كلمة هاتف هى الأمثل ولكن الشئ المؤكد أن كلمة تليفون لا ترسّخ فهما ولا عملا ، ولن تمكننا من اللحاق بركب الحضارة ..

٧ – الخلاصة :

إن وضع منظومة شفافة لتنمية مجتمعاتنا علميا لكفيل بتوظيف المصطلح فى بنية العلم والثقافة العربيين ، ويأتى فى الأساس وضع منظومة شفّافة معلنة تطابق القول على الفعل لمنظومة المصطلح العلمى العربى . إن الخطر لمحدق وعلينا ان نتسلح بالحذر ولنعرف أن وضعنا المتردى فى أغلب مناحى الحياة نتيجة عدم تكامل النظرة للأمور ، بجانب التناقض الذاتى الذى نجده فى الكثير من مناحى حياتنا والذى نتج عنه أننا ؛ وخلال أكثر من مائة عام أو يزيد، لم تكن لنا إضافة تذكر فى أى مجال ، كما يتدنى مردود التنمية في مجتمعاتنا بصورة لا توجد فى أى مجتمع آخر كان له نصيب من الحضارة فى الماضى . لقد بذلت جهود عديدة لتوحيد المصطلحات العلمية العربية ولتوحيد منهجيات وضع المصطلح العربى ، ولذا بات علينا النظر فيها بغية ميكنة آليات تنفيذها (٢٩–٣٠) . لقد بات علينا ان نستغل مختلف التقنيات لحل مسألة المصطلح قبل أن تصبح مشكلة ، إن نحن تغافلنا عنها ، وقررنا تعريب المصطلح الأجنبى بالمعنى الاصطلاحى للكلمة ، دون التمسك بآليات ترجمة المصطلح . إن قضية المصطلح لا تنفصل عن قضية تعريب العلم وقضية الثقافة العربية التى تعددت فيها التوجهات بتعدد المآرب، ولم يبق للأصول العلمية إلا القليل الذى يمكن أن يقع على الساحة العلمية لأصالتها إن نحن غذيناه بالجهد العلمى الحقيقى .

٨ – المراجع :

١ – أحمد شفيق الخطيب : تعريب العلوم ، القضية ؛ مكتبة لبنان ؛ بيروت ؛ ١٩٩٤م.

٢ – أحمد شفيق الخطيب .؛ حول توحيد المصطلحات العلمى ؛ مكتبة لبنان ؛ بيروت؛ ١٩٩٣م.

٣ – حامد صدقى قتيبى ؛ المعاجم والمصطلحات ؛ الدار السعودية للنشر والتوزيع ؛ جدة ؛ ٢٠٠٠.

٤ – سيجريد هونكة ؛ شمس العرب تسطع على الغرب ؛ دار الافاق الجديدة ، بيروت ١٩٨٦م.

٥ – شحادة الخورى ؛ دراسات فى الترجمة والمصلح والتعريب ، الجزء الأول ؛ بدون ناشر ، بدون تاريخ .

٦ – شحادة الخورى ؛ دراسات فى الترجمة والمصطلح والتعريب ؛ دار الطليعة الجديدة ؛ جـ٢، دمشق ؛ ٢٠٠١م.

٧ – عبد الكريم خليفة ؛ اللغة العربية والتعريب فى العصر الحديث ؛ الطبعة الثانية ؛ مجمع اللغة العربية الأردنى ؛ عمان ، ١٩٨٨م .

٨ – مجمع اللغة العربية ؛ توصيات خاصة بمنهج وضع المصطلحات العلمية العربية المتخصصة القاهرة ؛ ١٩٩٥م.

٩ – محمد رشاد الحمزاوى ؛ المنهجية العامة لترجمة المصطلحات ؛ دار الغرب الإسلامى ؛ بيروت ؛ ١٩٨٦م.

١٠– محمد هيثم الخياط ؛ فى سبيل العربية ؛ دار الوفاء المنصورة ؛ ١٩٩٧م.

١١– محمد هيثم الخياط ؛ نحو منهجية موحدة لوضع المصطلح العربى الحديث ، الموسم الثقافى الثانى عشر ؛ مجمع اللغة العربية الأردنى ؛ عمان ؛ ١٩٩٤م.

١٢–محمد يونس الحملاوى ؛ أزمة المصطلح فى الإعلام العلمى ؛ الدورة التدريبية للمحررين العمليين العرب ؛ القاهرة ؛ ٣١ مارس – ٤ أبريل ٢٠٠١م.

١٣– محمد يونس الحملاوى ؛ الترجمة العلمية فى منظومة التعريب ؛ حلقة بحثية حول قضايا الترجمة وإشكالياتها ؛ القاهرة ؛ ٢٨–٣١ أكتوبر ٢٠٠٠م.

١٤–محمد يونس الحملاوى ؛ التقييس والبرمجيات العربية ؛ ندوة صناعة البرمجيات فى مصر ؛ جمعية المهندسين المصرية ؛ القاهرة ٢١ سبتمبر ٢٠٠٣م.

١٥- محمد يونس الحملاوى ؛ اللغة كعنصر فاعل فى تعليم العلوم ؛ مؤتمر استعمال الحاسوب فى تعليم الفيزياء ؛ القاهرة ٢٦-٢٣٨ فبراير ٢٠٠٠م.

١٦- محمد يونس الحملاوى ؛ اللغة كعنصر فاعل فى توطين التقنيات وتطوير مهنة الهندسة ؛ المؤتمر الثالث عشر للهندسة الميكانيكية ؛ الإسكندرية ؛ ٢٨-٣١ مارس ٢٠٠١م.

١٧- محمد يونس الحملاوى ؛ اللغة وحوار الحضارات ؛ ندوة عن خبرات حوار الحضارات ؛ القاهرة ٣٠-٣١ أكتوبر ٢٠٠٢م.

١٨- محمد يونس الحملاوى ؛ المصطلح العلمى العربى فى بيئة الحاسوب ؛ ندوة استثمار المصطلح الموحد الصادر عن مؤتمرات التعريب ؛ الرباط ؛ ٢٩-٣١ أكتوبر ٢٠٠١م.

١٩- محمد يونس الحملاوى ؛ المصطلح العلمى بين الترجمة والتعريب : الهندسة نموذجا ؛ندوة قضايا المصطلح فى العلوم المادية ؛ فاس ؛ ٢٨/٢١٦ فبراير ٢٠٠٣م.

٢٠- محمد يونس الحملاوى ؛ تعريب الأمة ؛ الندوة الأولى حول تعريب التعليم الهندسى ؛ القاهرة ؛ ٥-٦ أبريل ١٩٩٥م.

٢١- محمد يونس الحملاوى ؛ تعريب التعليم وتقنيات المعلومات ؛ الندوة الإقليمية حول توظيف تقنيات المعلومات والاتصالات فى التعليم ؛ دمشق ١٥-١٧ يوليو ٢٠٠٣م.

٢٢- محمد يونس الحملاوى ؛ تعريب العلوم سبيل عملى للنهوض بممارساتنا اللغوية ؛ جائزة وقف الفنجرى الأصلية لخدمة الدعوة والفقه الإسلامى ؛ القاهرة ؛ يونيو ٢٠٠٢م.

٢٣- محمد يونس الحملاوى ؛ تعريب العلوم والثقافة ؛ منتدى المثقف العربى ؛ القاهرة ؛ ٥ أغسطس ٢٠٠١م.

٢٤- محمد يونس الحملاوى ؛ توطين التقنية (التكنولوجيا) ؟ ندوة آفاق الصناعة المصرية فى مدخل الألفية الثالثة ؛ القاهرة ١٥ نوفمبر ١٩٩٩؛ منشور كذلك فى مجلة أحوال مصرية ؛ القاهرة ؛ السنة الثانية ؛ العدد ٨ ، ربيع الأول ٢٠٠٠م.

٢٥- محمد يونس الحملاوى؛ جدوى ومحاذير تعريب الألفاظ والمصطلحات بدلا من ترجمتها، الندوة الدولية السادسة للأدب المقارن ؛ القاهرة ٢١-٢٣ نوفمبر ٢٠٠٠م.

٢٦- محمد يونس الحملاوى ؛ نحو إطلاله على بعض جوانب قضية التعريب ؛ سلسلة كتاب قضايا فكرية ؛ الكتاب ١٧ ،١٨ (لغتنا العربية فى معركة الحضارة) ؛ القاهرة ؛ مايو ١٩٩٧م.

٢٧- محمود فهمى حجازى ؛ الأسس اللغوية لعلم المصطلح ؛ مكتبة غريب ؛ القاهرة ١٩٩٣م

٢٨- المعجم الطبى الموحد : إنجليزى – عربى – فرنسى ؛ منظمة الصحة العالمية ؛ بغداد ١٩٨٣م.

٢٩- HTTP://www.emro.who.int/UMO بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٨م